المناهج الذهبية في فكر الإمام الباقر عليه السلام

المدرس المساعد
مها محمد أحمد
جمهورية العراق – بغداد
mahamahomahamaho@gmail.com

ملخص البحث:

يُعد الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام غصناً مثمراً من أغصان الشجرة النبوية والدوحة الهاشمية المفعمة بالعلوم والمعارف والأسرار الإلهية، فقد كان له الدور الأسمى في تفجير ينابيع الحقائق وكشف مبهمات الدقائق، ولا سيما بعد عمليات التحريف والتزوير المغرضة التي حصلت خلال العصر الأموي والتي كانت تهدف إلى صد الافراد عن اتباع مذهب أهل البيت الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين، ودفعهم إلى إتباع الشبهات الواهية والأباطيل الساذجة المبنية على قياس الآراء والعمل بالظنون.

وسيتم تقسيم البحث إلى مبحثين أساسيين، حيث سيتناول المبحث الأول: ((وصف أحوال المجتمع في زمن الإمام الباقر عليه السلام))، في حين أن المبحث الثاني سيتناول: ((مناهج فكر الإمام الباقر عليه السلام)).

المبحث الأول

وصف أحوال المجتمع في زمن الإمام الباقر عليه السلام

لقد كان عصر الإمام الباقر عليه السلام من أشد العصور صراعاً وأكثرها حساسيةُ، وذلك لما حصل فيها من ظهور التيارات الفكرية المختلفة والتي تصل في تباين أفكارها إلى حد التناقض، هذا فضلاً عن انحراف الأفكار العقائدية والعلمية عن جادة الصواب من دون الاستناد إلى أي برهان أو دليل يُذكر، إذ أن المبادئ والقواعد التي كانت سائدة في استنباط العلوم ونشرها هي مبادئ تعتمد على القياس بالرأي والتخمين والظن والإفتاء بغير علم، مما أدى إلى حصول منزلقات فكرية هائلة أدت إلى فساد المجتمع ومخالفة الأحكام الشرعية التي أمر بها الله سبحانه وتعالى مع سيادة الظن أن تلك الأعمال هي أعمال صحيحة مطابقة

لإرادة الله تعالى وموافقة لأحكامه الشرعية التي فرضها على عباده، هذا فضلاً عن قيام الحكومات الجائرة بطمس معالم الشريعة الإسلامية الحقة بهدف إرضاء مصالحهم الشخصية ورغباتهم ووضع الغطاء الشرعي لكافة أفعالهم الباطلة التي لا يرتضيها العقل فضلاً عن العرف والدين، إذ أنهم شرعوا اللهو والعبث والغناء والمعازف والغزل والمجون وشرب الخمر ومعاشرة النساء والجواري، وقد كان الفقهاء يؤكدون أن أفعال الحكام حجة على الآخرين، وإن أخطأ أولئك الحكام فلا يحاسبون من قبل الله تعالى لأنهم ولاة أمر المسلمين.

إلاّ أن الإمام الباقر عليه السلام كان له الدور المشرق في تفنيد كل تلك الأباطيل وبيان الفكر الإسلامي الصحيح في جميع المجالات، كما قام عليه السلام بالتصدي لجميع الحركات الفكرية الفاسدة والتيارات المنحرفة التي كانت تهدف إلى إضعاف الدولة الإسلامية والسيطرة على عقول الأفراد ولا سيما البسطاء منهم، وبالتالي فشل تلك الدولة والحول دون نشر الشريعة الإسلامية السمحاء، ولم يثني الإمام الباقر أي شيء من الظروف التي عانى منها سلام الله عليه، فبالرغم من قيام الحكومات الجائرة بالرقابة الشديدة عليه وعلى أصحابه، والتنكيل بشيعته، واتخاذ أفعال شتم وإهانة أبائه الطاهرين عليهم السلام سُنة قائمة على المنابر، إلا أنه كان عليه السلام صابراً محتسباً ذو همة عالية في كشف الحقائق ونشر العلوم الصحيحة بين الأفراد لزيادة وعيهم وضمان سلامتهم في الدين والدنيا، كما كان عليه السلام دقيقاً في تناول المجالات التي يساهم إثرائها الفكري في النهوض بواقع المجتمع وارتقائه نحو الأفضل[١].

وسيتم بيان المجالات التي اهتم بها الإمام الباقر عليه السلام من خلال مجموعة من المناهج التي حملت عبق علومه الفذة وتغذت بفكره المبارك.

المبحث الثاني

مناهج فكر الإمام الباقر عليه السلام

لقد اهتم الإمام الباقر عليه السلام ببيان العلوم المختلفة وكشف أسرارها ولا سيما للخواص من أصحابه، إذ أن تلك العلوم كان لها الأثر الأكبر في التأثير بالمجتمع من خلال استنقاذه من الجهالة التي فرضتها الحكومات الجائرة التي منعت تداول العلوم وتدوين الأحاديث منذ شهادة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله[٢].

وقد كانت علوم الإمام الباقر عليه السلام تشمل مختلف المجالات والتي سيتم تقسيمها إلى مناهج محددة وأهمها ما يأتي:

أولاً:- المنهج القرآني التفسيري:

لقد كان المنهج القرآني التفسيري من أهم المناهج التي اهتم بها الإمام الباقر عليه السلام ولا سيما بعد كثرة الدجل والكذب والتحريف الذي شهدتها التفاسير المؤلفة من قبل الكُتاب المأجورين القائمين على تزييف الحقائق وتزوير الأدلة بهدف تحقيق النزوات والمصالح الشخصية وإضفاء الشرعية على أفعال الخلفاء الفاسدين الذين اغتصبوا خلافة الأمة الإسلامية، مما جعل الإمام الباقر عليه السلام يركز على الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده.

وقد ورد أن الإمام الباقر قد فسر الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٣]، وذكر أن المقصود بالذين آمنوا هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأن هذه الآية نزلت في شأنه بالخصوص، حيث قال عليه السلام: ((قد أنزل الله تبارك وتعالى آية من كتابه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ وعلي بن أبي طالب أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع يريد الله عزّ وجل في كل حال[٤].

كما أكد الإمام الباقر عليه السلام أن الواو المذكورة في عبارة (وهم راكعون) يستخدم للتعريف بحالة الشخص التي كان فيها عندما قام بالفعل وبالتالية فهي واو حالية، ولا يجوز أخذها بمعنى واو العطف كما كان يقول المفسرون، إذ أن معنى العطف سيخالف المعنى الأصلي للآية المباركة وسيكون معناها عاماً من دون خصوصية لولاية المؤمنين إذ أن جميع المؤمنين سيكونون مؤهلين ليكونوا أولياء للأمة الإسلامية من بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

كما ذكر المفسرون في تفسير الآية الكريمة: ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت شيئاً والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين))[٥]، أن المقصود بها هم أن يقوم الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله بتبليغ القرآن كاملاً دون خوفٍ من المشركين من باب الحيطة والحذر، في حين أن الإمام الباقر عليه السلام أكد أن هذه الآية عندما

نزلت على الرسول قام بتنفيذ أمر الله تبارك وتعالى وإعلان ولاية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم عيد الغدير في منطقة غدير خم[٦].

كما ذكر المفسرون أيضاً في تفسير الآية القرآنية الكريمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٧]، أن المقصود بها هو أن الله تبارك وتعالى قد أكمل دينه بالفتح والامتياز على سائر الأديان الأخرى من خلال فتح مكة وتدمير نظام الجاهليين، في حين أن الإمام الباقر عليه السلام أكد أن هذه الآية قد نزلت في يوم الغدير بعد إعلان ولاية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

كما ذكر المفسرون أيضاً في تفسير الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٨]، أن المقصود بأولي الأمر هم الحكام والعلماء، كما أن الكثير ذكر أن تفسير أولي الامر يختص بأبي بكر وعمر بن الخطاب، في حين أن الإمام الباقر عليه السلام ذكر في تفسير أولي الأمر أنهم الأئمة من آل بيت محمد عليهم السلام أجمعين[٩].

كما ذكر المفسرون في تفسير الآية الكريمة: ﴿آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾[١٠]، أن المقصود بالملك العظيم هو الأملاك الخاصة في الدنيا، في حين أن الإمام الباقر عليه السلام يؤكد أن المقصود بالملك العظيم هو الخلافة والإمامة، إذ أن الله تبارك وتعالى

جعل من بينهم قادة طاعتهم مساوية لطاعة الله تعالى، ويحتج الإمام الباقر عليه السلام عليهم بقوله ((كيف يمكن للناس قبول ذلك المركز لآل إبراهيم وإنكاره لآل محمد؟))[١١].

كما اهتم الإمام الباقر عليه السلام بالتأكيد على أن علم القرآن يقسم إلى علم ظاهر وعلم باطن، وأن العلم الظاهر له معنى ظاهر والمعنى الظاهر له معنى ظاهر آخر وهكذا، وكذلك العلم الباطن له معنى باطن والمعنى الباطن له معنى باطن آخر وهكذا، وهذا ما يفسر إعطاءه لأجوبة قرآنية مختلفة لمسألة قرآنية واحدة، حيث ورد في حديثه عليه السلام أنه قال: ((لا يوجد شيء أبعد عن عقول الناس من تفسير القرآن))[١٢]، ووفقاً لذلك قام الإمام الباقر عليه السلام بشرح وتفسير العبارات المجازية التي يتخذها البعض ذريعة لاتباع العقيدة الفاسدة، حيث ورد أن المفسرين قد قاموا بتفسير بعض الآيات القرآنية بما ينسب الجسمية لله تبارك وتعالى

كما في الآية الكريمة ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[١٣]، وكذلك الآية الكريمة: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[١٤]، مما أدى إلى انحراف الكثير واتباع مذهب التجسيم والانضمام لبعض الفرق المنحرفة كالفرقة المجسمة، إذ أنهم قاموا بتفسير كلمة اليد بالعضو البشري الموجود لدى الإنسان وهذا يستحيل عقلاً مع الخالق تبارك وتعالى حيث يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وقد تحدث الإمام الباقر عليه السلام عن تفسير هذه الآيات حيث قال: ((اليد في كلام العرب هو القوة والنعمة حيث قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي بقوة، وقال (أيده بروحٍ منه)، ويُقال: لفلان أيادٍ كثيرة أي فواضل وإحسان، وله عندي يدٌ بيضاء أي نعمة))[١٥].

ولم يهتم الإمام الباقر عليه السلام بتفسير القرآن الكريم وحسب، وإنما تولى مهمة الدفاع عنه وتنزيهه من الباطل حيث ورد أنه قال: ((لا يأتيه الباطل من قبل التوراة ولا من قبل الإنجيل والزبور ولا يأتيه من بعده كتاب يبطله))، كما قال عليه السلام: ((ليس في أخباره عما مضى باطل ولا في أخباره عما يكون في المستقبل باطل))[١٦]، كما قام بذم المحرفين لآيات القرآن الكريم حيث ورد في رسالته إلى سعد الخير: ((وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده فهم يرونه ولا يرعونه والجهال يعجبهم حفظهم للرواية والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية))[١٧]، كما نهى عليه السلام عن تفسير القرآن بالرأي إذ أن ذلك التفسير يعتمد على الاعتبارات العقلية الظنية الراجعة إلى الاستحسان، حيث كانت الكثير من الفئات التي اعتمدت على تفسير القرآن بالرأي كالفئة المتزلة والفئة الباطنية دون أدنى اهتمام بالتفاسير الواردة عن الرسول الأكرم وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين، وقد ورد أن الإمام الباقر عليه السلام قد أنكر على أحد الفقهاء المشهورين والذي يُسمى قتادة أن يقوم بتفسير القرآن بالرأي حيث قال له: ((يا قتادة إن كنت قد فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت. يا قتادة ويحك إنما يعرف القرآن من خوطب به))[١٨].

كما اهتم الإمام الباقر عليه السلام ببيان فضائل تلاوة القرآن الكريم وآداب تلاوته، وأكد على ضرورة تلاوته بصوتٍ حسن، حيث ورد أنه عليه السلام قد قال لأحد أصحابه: ((رجع بالقرآن صوتك فإن الله يحب الصوت الحسن يرجع فيه ترجيعاً))[١٩].

ثانياً:- المنهج الإيماني العقدي:

لقد اهتم الإمام الباقر عليه السلام كثيراً بعلم الكلام الذي يبحث في العقائد الحقة ولا سيما أن العصر الذي عاش فيه كان من أشد العصور الإسلامية حساسية، إذ أن الإسلام قد انتشر في الكثير من مناطق العالم مما أثار موجة من الحقد في نفوس المعادين للإسلام من الشعوب المغلوبة وبالتالي قيامهم بحملات دعائية ضد العقيدة الإسلامية فأذاعوا الشكوك والأوهام بين أبناء المسلمين، هذا فضلاً عن قيام الحكومة الأموية بالتشجيع للأفكار المعادية للإسلام حرصاً منهم على مصالحهم الشخصية وأطماعهم الدنيئة.

وقد ركز الإمام الباقر عليه السلام على توثيق أصول الدين وبيان دقائقها وتفاصيلها وبالتالي تفنيد الأفكار الفاسدة والمعتقدات الباطلة التي سادت آنذاك[٢٠]، وهذا ما يمكن توضيحه كما يأتي:

١) **التوحيد:** إن أصل التوحيد هو أول أصل من أصول الدين وأهمها وهو يركز على إثبات وجود الله تبارك وتعالى ووحدانيته وتفرده بصفات الجمال وتوحده بصفات الجلال وتنزهه عن كل نقص[٢١]، وقد اهتم الإمام الباقر عليه السلام كثيراً بتوضيح حقيقة التوحيد، حيث رُوي أنه قال لجابر بن يزيد الجعفي: ((إن الله تباركت أسماؤه التي يُدعى بها وتعالى في علو كنهه واحدٌ بالتوحيد في توحده ثم أجراه على خلقه فهو واحد صمد قدوس يعبده كل شيء ويصمد إليه كل شيء ووسع كل شيء علماً))[٢٢].

وقد تناول الإمام الباقر عليه السلام مجموعة من المسائل المهمة في أصل التوحيد تتضمن ما يأتي:

أ - عجز العقول عن إدراك حقيقة الله تبارك وتعالى:- إذ أن جميع العقول محدودة في تصوراتها، فلا يمكن للعقل أن يتصور موجودات لا مكان لها ولا يجري عليها حكم الزمان، وبالتالي فإن ذات الله لا تدركها أوهام القلوب فكيف بأبصار العيون، حيث يقول الإمام الباقر عليه السلام: ((أوهام القلوب أدق من أبصار العيون. أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك وأوهام القلوب لا تدركه فكيف بأبصار العيون؟)).

ب - **أزلية واجب الوجود:-** حيث أكد الإمام الباقر عليه السلام أن الله تبارك وتعالى قديم أزلي لم يسبقه شيء وهذا ما يطابق قوله تعالى: ((ما نحن بمسبوقين))[٢٣]، ويُروى أن رجلاً سأل الإمام الباقر عليه السلام فقال له: أخبرني عن ربك متى كان؟ فقال له الإمام الباقر عليه السلام: ((ويلك إنما يُقال لشيء لم يكن متى كان. إن ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حياً بلا كيف ولم يكن له كان ولا كان لكونه كون ولا كان له كيف ولا كان له أين ولا كان في شيء ولا كان على شيء ولا ابتدع لمكانه كوناً ولا قوي بعدما كوّن الأشياء ولا كان ضعيفاً قبل أن يكوّن شيئاً ولا كان متوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً ولا يشبه شيئاً مذكوراً ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه لم يزل حياً بلا حياة وملكاً قادراً قبل أن ينشيء شيئاً وملكاً جباراً بعد إنشائه للكون فليس لكونه كيف ولا أين ولا له حد ولا يُعرف بشيء يُذهبه ولا يهرم لطول البقاء))[٢٤].

ت - **النهي عن التكلم في ذات الله تبارك وتعالى:-** لقد نهى الإمام الباقر عليه السلام عن الحديث في ذات الله تبارك وتعالى، إذ أن ذلك مبني على فلسفة عميقة لا تتحملها عقول البسطاء الذين لا يملكون رصيداً من العلم فإنهم يقعون في حبال الشيطان ويخرجون من حظيرة الإيمان إلى حضيض الشرك حيث يقول عليه السلام: ((تكلموا في كل شيء ولا تتكلموا في ذات الله تعالى فإنه لا يزيد صاحبه إلا تحيراً))[٢٥].

ث - **علم الله تبارك وتعالى:-** إن علم الله تبارك وتعالى بالأشياء غير محدود، فعلمه بها قبل تكوينها كعلمه بها بعد تكوينها على حدٍ سواء لأنه هو الخالق والمكون لها، فضلاً عن أنه العالم بما تضمره القلوب وتنطوي عليه النفوس، ويقول الإمام الباقر عليه السلام في شأن ذلك: ((كان الله عزّ وجل ولا شيء غيره ولم يزل عالماً بما يكون فعله به قبل كونه لعلمه به بعد كونه))[٢٦].

ج - **صفات الله تبارك وتعالى:-** إن صفات الله تعالى هي عين ذاته وليس بينهما تعدد مما يستوجب التوحيد الصفاتي، والتأكيد عليه ولا سيما بعد أن شاع بين الكثير من الناس الشرك في الصفات حيث أشاعوا أن الله تعالى يسمع بعير ما يبصر ويبصر بغير ما يسمع وشأنه في ذلك شأن مخلوقاته، فقال الإمام الباقر عليه السلام بخصوص ذلك:

((كذبوا وألحدوا وشبهوا. تعالى الله عن ذلك. إنه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع)).

ح - **عبادة الله تبارك وتعالى:-** لقد أكد الإمام الباقر على وصف كنه عبادة الله تعالى وبيان جوهرها لئلا يقع الناس في الشرك من دون أن يشعروا، حيث قال عليه السلام: ((إن من عبد الاسم دون المسمى بالأسماء أشرك وكفر وجحد ولم يعبد شيئاً، بل اعبد الله الواحد الأحد الصمد المسمى بهذه الأسماء من دون الأسماء، إن الأسماء صفات وصف بها نفسه))[٢٧].

كما كان للإمام الباقر عليه السلام دور كبير في ترسيخ أسس التوحيد في قلوب الناس وذلك من خلال إجراء المناظرات الخاصة بعلوم التوحيد مع علماء المسيحيين والأزارقة والملحدين مما أدى إلى الاعتراف بصحة وأحقية أصل التوحيد[٢٨]، كما كان عليه السلام يقوم بتفسير المعاني الخاصة بالمفردات الإلهية، حيث رُوي أن داوود بن القاسم الجعفري قد سأل الإمام الباقر عليه السلام عن معنى "الصمد" فأجابه الإمام الباقر عليه السلام قائلاً: ((السيد المصمود إليه في القليل والكثير))، كما يُروى أنه قد قام بتفسير كلمة "الأحد" حيث قال: ((هو الفرد المتفرد وهو المعبود الذي يأله الخلق عن أدراكه والإحاطة بكيفيته فرد بالهيئة متعالٍ عن صفات خلقه))، كما فسر كلمة "الواحد" حيث قال: ((الواحد بمعنى الذي لا نظير له، فبناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد لأن العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الاثنين))[٢٩].

كما قام الإمام الباقر عليه السلام أيضاً ببيان شروط التوحيد حيث روى عنه جابر بن يزيد الجعفي أنه قال: ((جاء رجل إلى النبي فقال: يا رسول الله. أكل من قال لا إله إلا الله مؤمن؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا تدخلون الجنة حتى تحبوني وكذب من زعم أنه يحبني ويبغض علياً))، وبالتالي يتضح أن الشرط الأساسي للتوحيد هو حب رسول الله صلى الله عليه وآله وحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[٣٠].

٢) **العدل:-** لقد ركز الإمام الباقر عليه السلام كثيراً على أصل العدل الإلهي نتيجة لوجود الكثير من العوامل التي أدت إلى إنكار ذلك الأصل وانتشار الأفكار المحرفة التي تنسب الظلم إلى الله تبارك وتعالى، فقد انتشرت الكثير من الفئات التي تزعم عدم عدالة الله تعالى كالفئة القدرية والفئة المجبرة والفئة المفوضة والفئة المرجئة وغيرها

من الفئات التي تعمل على نشر العقيدة الفاسدة، إلا أن الإمام الباقر عليه السلام قد قام بالتصدي لتلك الأفكار الباطلة كما انه قام بتفنيد كل المعتقدات التي تؤمن بها تلك الفئات، فقد ورد أنه قال للحسن البصري: ((إياك أن تقول بالتفويض فإن الله عزّ وجل لم يفوض الأمر إلى خلقه وهناً منه وضعفاً ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً))، كما كان عليه السلام يقول دائماً لأصحابه: ((إن الله عزّ وجل أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم عليها، والله أعز من أن يريد أمراً فلا يكون))، كما سُئل الإمام الباقر عليه السلام: هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ فأجاب عليه السلام: ((نعم أوسع مما بين السماء والأرض))[٣١].

٣) النبوة:- لقد اهتم الإمام الباقر عليه السلام بأصل النبوة في علم الكلام، إذ أنه كان كثيراً ما يروي الأحاديث المختصة بأحوال الأنبياء وصفاتهم وما جرى عليهم، وقد رُوي أن زياد بن المنذر قد ألف كتاباً كاملاً حول سيرة الأنبياء معتمداً على روايات الإمام الباقر عليه السلام التي يدور محورها حول قصة الأنبياء وطغاة زمانهم وما رُوي من أدعيتهم وحكمهم وآدابهم، هذا فضلاً عن سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وشرح أحواله ومناقبه والغزوات والحروب التي خاضها[٣٢].

وقد أجرى الإمام الباقر عليه السلام الكثير من المناظرات المحكمة حول التفاصيل المتعلقة بسيرة الأنبياء السابقين، ومن أهم تلك المناظرات كانت مناظرته مع طاووس اليماني[٣٣]، حيث ورد أن طاووس أقبل مع جماعة من أصحابه فقال للإمام الباقر عليه السلام: إئذن لي بالسؤال. فقال له الإمام الباقر عليه السلام: ((أذنا لك فسل)). فقال طاووس: اخبرني متى هلك ثلث الناس؟ فقال الإمام عليه السلام: ((لعلك وهمت يا شيخ وأردت ان تقول عن ربع الناس))، فقال: نعم أردت ذلك يا بن رسول الله، فقال عليه السلام: ((لقد هلك ربع الناس يوم قتل قابيل أخاه هابيل ذلك أنه لم يكن على وجه الارض غير آدم وحواء وقابيل وهابيل فهلك ربعهم بموت هابيل))، فقال طاووس: أيهما كان اباً للناس القاتل أو المقتول؟ فقال الإمام عليه السلام: ((لا هذا ولا ذاك بل شيث بن آدم)) فقال طاووس: ولم سمي آدم آدم؟ فقال الإمام عليه السلام: ((لأن طينته رفعت من أديم الأرض السفلى))، فقال طاووس: ولم سميت زوجته حواء؟ فقال الإمام عليه السلام: ((لأنها خلقت من ضلع حي يعني ضلع آدم))، فقال طاووس: ولم سمي

ابليس بهذا الاسم؟ فقال الإمام عليه السلام: ((لأنه أبلس من رحمة الله عز وجل فلا يرجوها))، فقال طاووس: لم سمي الجن جناً؟ فقال الإمام عليه السلام: ((لأنهم استجنوا فلم يروا))، فقال طاووس: فأخبرني عن أول كذبة كذبت من صاحبها؟ فقال الإمام عليه السلام: ((كذبة إبليس حين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين))، فقال طاووس: أخبرني عن قوم شهدوا شهادة الحق وكانوا كاذبين؟ فقال الإمام عليه السلام: ((المنافقون حين قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون))، فقال طاووس: فأخبرني عن طائر طار مرة ولم يطر قبلها ولا بعدها ذكره الله عز وجل في القرآن ما هو؟ فقال الإمام عليه السلام: ((طور سيناء أطاره الله عز وجل على بني اسرائيل حين أظلهم بجناح منه فيه ألوان العذاب حتى قبلوا التوراة وذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾))، فقال طاووس: فأخبرني عن رسول بعثه الله لا من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة ذكره الله في كتابه؟ فقال الإمام عليه السلام: ((الغراب حين بعثه الله ليرى قابيل كيف يواري سوأة أخيه هابيل حين قتله وذلك بقوله تعالى: (فبعث الله غراباً يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه))) فقال طاووس: فأخبرني عمن أنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة ذكره الله عزّ وجل في كتابه؟ فقال الإمام عليه السلام: ((النملة حين قالت: (يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون)))، قال طاووس: فأخبرني عمن كُذب عليه ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة ذكره الله عزّ وجل في كتابه؟ فقل الإمام عليه السلام: ((الذئب الي كذب عليه أخوة يوسف عليه السلام))، فقال طاووس: فأخبرني عن شيء قليله حلال وكثيره حرام؟ فقال الإمام عليه السلام: ((نهر طالوت وذلك بقوله تعالى: (إلا من اغترف غرفة بيده)))، فقال طاووس: فأخبرني عن رجل من أهل الجنة نهى الله عزّ وجل نبيه أن يعمل بعمله؟ فقال الإمام عليه السلام: ((ذاك يونس بن متى وذلك بقوله تعالى: (ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى)))، فقال طاووس: فأخبرني ميت أحيا ميتاً؟ فقال الإمام عليه السلام: ((بقرة بني اسرائيل وذلك بقوله تعالى: (اضربوه ببعضها)))، فقال طاووس: فأخبرني عن شيء أُحل للخلق جميعاً وحُرم على شخص واحد؟ فقال الإمام عليه السلام: ((تلك المراضع أُحلت للخلق وحُرمت على شخص واحد هو موسى عليه السلام وذلك بقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾))، فقال طاووس: هذا والله العلم، والله يجعل رسالاته حيث يشاء[٣٤].

كما قام الإمام الباقر ببيان الكثير من المسائل المهمة المتعلقة بسيرة الأنبياء وأهم تلك المسائل كانت ما يأتي:

أ - إن الحجية كانت للنبي يعقوب عليه السلام في زمانه ولم تنتقل إلى النبي يوسف عليه السلام إلا بعد وفاة النبي يعقوب، حيث قال عليه السلام: ((كان يعقوب الحجة وكان المُلك ليوسف فلما مات يعقوب حمله يوسف في تابوت إلى أرض الشام فدفنه في بيت المقدس فكان يوسف بعد يعقوب الحجة))[٣٥].

ب - لقد كانت الحكمة من بلاء النبي أيوب عليه السلام بالأمراض والضعف والفقر بالذي يهون معه على الناس أجمع لئلا يدعو له بالربوبية ولا سيما إذا شاهدوا ما رزقه الله تعالى من عظائم نعمته.

ت - إن العامل الأساسي الذي حفظ الله تعالى به النبي موسى عليه السلام هو عامل المحبة، حيث لم يكن يراه أحد إلا وأحبه وهذا ما يؤكده قول الله تعالى: ((وألقيت عليك محبة مني))[٣٦]، فعندما وجده فرعون وآسيا أحباه حباً شديداً ولم يقم فرعون بقتله، وإنما اتخذه مع آسيا ولداً لهم، وكنتيجة طبيعية لحبهم له بحثوا له عن أكفأ المراضع ولا سيما أنه لم يكن يقبل أي مرضعة وهكذا حتى عاد إلى أمه التي أرضعته فقرت عينها بعودته كما جاء في قوله تعالى: ((فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون))[٣٧].

كما اهتم الإمام الباقر عليه السلام كثيراً ببيان التفاصيل المتعلقة بنبوة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ولا سيما بعد قيام الحكام الأمويون بمنع تداولها وتدارس تفاصيلها أسوة بما فعلاه أبو بكر وعمر بن الخطاب بعد استشهاد الرسول الأكرم إذ حاولا طمس كل المعالم والآثار العظيمة لتلك السيرة العطرة، كما قاما بتصوير الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله على أنه رجل اعتيادي لا يستحق عناءه وجهده في تأسيس الدولة الإسلامية ونشر الدين الإسلامي وتبليغ القرآن الكريم كل ذلك الاهتمام، متناسين بكل جحودٍ وطغيان مكانة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وفضله الذي عم البشرية جمعاء وجعلهم مدينين له في كل لحظة[٣٨]، وأهم التفاصيل التي بينها الإمام الباقر عليه السلام بشأن سيرة جده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كانت كما يأتي:

أ - أسماء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: حيث قام الإمام الباقر عليه السلام ببيان تلك الأسماء سواءً المذكورة في القرآن الكريم أو المذكورة في الكتب السماوية الأخرى حيث قال عليه السلام: ((إن لرسول الله عشرة أسماء خمسة منها في القرآن وخمسة ليست في القرآن، فأما التي في القرآن: فمحمد وأحمد وعبد الله ويس ونون، وأما التي ليست في القرآن: فالفاتح والخاتم والكافي والمقفى والحاشر))، كما قال عليه السلام: ((إن اسم رسول الله في صحف إبراهيم: الماحي، وفي توراة موسى: الحاد، وفي إنجيل عيسى: أحمد، وفي القرآن: محمد. وتأويل الماحي: الماحي صورة الأصنام وماحي الأوثان والأزلام وكل معبود دون الرحمن، وتأويل الحاد: يحاد من حاد الله ودينه قريباً كان أو بعيداً، وتأويل أحمد: حسن ثناء الله عزّ وجل عليه في الكتب بما حُمد من أفعاله، وتأويل محمد: أن الله وملائكته وجميع أنبيائه ورسله وجميع أممهم يحمدونه ويصلون عليه)).

ب - هيئة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: وقد اهتم الإمام الباقر عليه السلام بوصف تلك الهيئة الشريفة بدقة حيث قال عليه السلام: ((كان نبي الله صلى الله عليه وآله أبيض مشرب بحمرة، أدعج العينين، مقرون الحاجبين، شثن الأطراف، كأن الذهب أفرغ على براثنه، عظيم مشاشة المنكبين، إذا التفت يلتفت جميعاً من شدة استرساله، سربته سائلة من لبته إلى سرته كأنها وسط الفضة المصفاة وكأن عنقه إلى كاهله إبريق فضة، يكاد أنفه إذا شرب أن يرد الماء، وإذا مشى تكفأ كأنه ينزل في صبب، لم يُر مثل نبي الله صلى الله عليه وآله قبله ولا بعده)).

ت - خصال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: حيث أكد الإمام الباقر عليه السلام على بيان تلك الخصال الكريمة والمميزة التي لم يتصف بها أحد حيث قال عليه السلام: ((كان في رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث خصال لم تكن في أحد غيره: لم يكن له فيء، وكان لا يمر في طريق فيمر فيه أحد بعد يومين أو ثلاثة إلا عُرف أنه قد مر فيه لطيب عُرفه، وكان لا يمشي بحجر ولا شجر إلا سجد له))[٣٩].

ث - الصلاة على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: لقد ركز الإمام الباقر عليه السلام على بيان مسألة مهمة تخص تلك الصلاة حيث قال عليه السلام: ((ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب عليه السلام أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في صحته وسلامته: إنما أنزلت هذه الآية عليّ في الصلاة عليّ بعد قبض الله تعالى لي: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)، فلبى أمير المؤمنين عليه السلام ذلك الأمر، حيث عند فراغه من تغسيل الرسول وتكفينه وتحنيطه أذن للناس بالدخول وقال: ليدخل منكم عشرة عشرة ليصلوا عليه فدخلوا وقام أمير المؤمنين عليه السلام بينه وبينهم وتلا تلك الآية الكريمة فكان المسلمين يتلونها أيضاً)).

٤) الإمامة:- إن الإمامة هي من أهم أصول الدين إذ أنها تحقق الإيمان بالنبوة والتوحيد، وقد اهتم الإمام الباقر عليه السلام كثيراً ببيان تفاصيل ذلك الأصل ولا سيما بعد الظروف والأحداث التي عانى منها المجتمع والتي ارتكزت على محاولة الحكومات الجائرة لمحو كل الآثار المتعلقة بأئمة أهل بيت النبوة عليهم السلام أجمعين بهدف تحقيق مطامعهم الدنيئة والاستيلاء على إدارة شؤون الدولة دون أي وجه حق، وقد ركز الإمام الباقر عليه السلام على بعض المسائل المهمة التي تخص أصل الإمامة وأهمها ما يأتي:

أ - علامات الإمام: لقد أكد الإمام الباقر عليه السلام على بيان علامات الإمام ولا سيما بعد كثرة المكذبين والمدعين للإمامة لتحقيق هدف السيطرة على المجتمع، وبالتالي فإن تلك العلامات خير دليل لمعرفة الإمام الحق المنصب من قبل الله تعالى، حيث قال عليه السلام: ((للإمام عشر علامات: يولد مطهراً مختوناً، وإذا وقع على الأرض وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يُجنب، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يتثاءب، ولا يتمطى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، ونجوه كرائحة المسك، والأرض موكلة بستره، وإذا لبس درع رسول الله كان عليه وفقاً وإذا لبسها غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً، وهو محدَّث))[٤٠].

ب - عدد الأئمة: لقد أكد الإمام الباقر عليه السلام في كثير من الأحاديث المباركة أن عدد الأئمة هو أثنا عشر إماماً من بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، حيث ورد عنه أنه قال: ((الأئمة اثنا عشر إماماً منهم الحسن والحسين ثم الأئمة من ولد الحسين))، كما قال عليه السلام: ((نحن اثنا عشر محدثاً))[٤١]، كما روى عنه أبو بصير أنه قال: ((تكون تسعة

أئمة من بعد الحسين بن علي تاسعهم قائمهم))[٤٢].

ت - **الحاجة إلى الإمام:** لقد أكد الإمام الباقر عليه السلام أن الإمامة ضرورة مهمة من ضروريات الحياة الإسلامية إذ أن شؤون المجتمع لا تستقيم من دونها، وقد سأل جابر بن يزيد الجعفي الإمام الباقر عن الحاجة إلى الإمام فأجابه قائلاً: ((لبقاء العالم على صلاحه وذلك أن الله عزّ وجل يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام حيث قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾))[٤٣].

ث - **وجوب معرفة الإمام:** لقد تواترت الكثير من الروايات الشريفة المؤكدة على لزوم معرفة إمام العصر، وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية ورُوي أن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت الإمام الباقر عليه السلام يقول: ((إنما يعرف الله عزّ وجل ويعبده من عرف إمامه منا أهل البيت ومن لا يعرف الله عزّ وجل ولا يعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله))[٤٤]، كما ورد عنه عليه السلام: ((إن الله لُيعبد بالأئمة ويُعرف بهم ويُوحد))[٤٥]، وكذلك ورد عنه عليه السلام قال: ((كل من دان الله عزّ وجل بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول وهو ضال متحير والله شانئ لأعماله))[٤٦].

ج - **وجوب طاعة الإمام:** إن طاعة الإمام هي واجب ديني صرح به القرآن الكريم حيث ورد في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٤٧]، وقد أكد الإمام الباقر عليه السلام ذلك حيث ورد عنه أنه قال: ((ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى: الطاعة للإمام بعد معرفته... إن الله تبارك وتعالى يقول من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً))[٤٨].

ح - **حق الإمام:** لقد أكد الإمام الباقر عليه السلام أن للإمام حق عظيم على الناس، حيث يُروى أن أبا حمزة سأل الإمام الباقر عليه السلام قائلاً: ما حق الإمام على الناس؟ فأجابه الإمام: ((حقه عليهم أن يسمعوا ويطيعوا))[٤٩].

خ - **عظمة منزلة الإمام:** إن منزلة الإمامة منزلة عظيمة لا يبلغها أي أحد من العباد،

وهذا ما أكد عليه الإمام الباقر عليه السلام في حديثه مع جابر بن يزيد الجعفي حيث قال له: ((إن الله اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً واتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً واتخذه رسولاً قبل أن يتخذه إماماً فلما جمع له هذه الأشياء وقبض يده قال له: (يا إبراهيم إني جاعلك للناس إماما)، فمن عظمها في عين إبراهيم قال: (يا رب ومن ذريتي)؟ قال: (لا ينال عهدي الظالمين)))[٥٠].

د - **الولاية لأئمة أهل البيت:** إن الولاية للأئمة الأطهار عليهم السلام جزء أساسي من الإسلام وهي عنوان الإيمان الحق، وقد ألزم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أمته بهذا الفرض الديني وأهتم به أكثر من أي فرض آخر، وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: ((بني الإسلام على خمس: الصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية ولم ينادى بشيء كما نودي بالولاية فأخذ الناس بأربع وتركوا الولاية))[٥١].

ذ - **آداب الأئتمام بأئمة أهل البيت:** لقد اهتم الإمام الباقر عليه السلام ببيان أهم الآداب الخاصة في الأئتمام بأئمة أهل البيت وطاعتهم، حيث ركز على ضرورة نفي الشبهات عنهم وكتم أسرارهم حيث قال عليه السلام: ((اكتموا أسرارنا ولا تحملوا الناس على أعناقنا وانظروا أمرنا وما جاءكم عنا فإن وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوه وإن لم تجدوه موافقاً فردوه وإن اشتبه عليكم الأمر فقفوا عنده وردوه إلينا))، كما قال عليه السلام: ((رحم الله عبداً سمع مكنون سرنا فدفنه في قلبه))، كما أوصى عليه السلام بتحبيب أئمة أهل البيت إلى الناس حيث قال: ((رحم الله عبداً أحببنا إلى الناس ولم يبغضنا إليهم))، وكذلك أكد عليه السلام على أهمية إحياء أمرهم حيث قال: ((رحم الله امرئ أحيا أمرنا وعمل بأحسنه))[٥٢].

٥) **المعاد:**- يُعد أصل المعاد من أهم الأصول العقائدية التي يتوقف عليها الإيمان، فضلاً عن الإسلام، إذ أن منكر المعاد يخرج عن كونه لإنكاره الأصل الأهم الذي يثبت قدرة الله عزّ وجل وعظمته[٥٣]، ولهذا اهتم الإمام الباقر عليه السلام كثيراً ببيان بعض التفاصيل المتعلقة بهذا الأصل بهدف ترسيخ العقيدة الثابتة لدى الأفراد في العودة للحياة بعد الموت، ويُروى أن أبا بكر الحضرمي قد سأل الأمام الباقر عليه السلام عن مسائلة القبور فقال له: من هم المسؤولون في قبورهم؟ فقال الإمام: ((من محض

الإيمان ومن محض الكفر))، فقال أبو بكر: فبقية هذا الخلق؟ فقال الإمام: ((يلهى والله عنهم ما يعبأ بهم))، فقال أبو بكر: وعم يُسألون؟ فقال الإمام: ((عن الحجة القائمة بين أظهركم فيقال له: ماذا تقول في فلان بن فلان؟ فيقول: ذاك إمامي، فيقال له: نم أنام الله عينك ويُفتح له باب من الجنة فما يزال يتحفه من روحها إلى يوم القيامة، ويقال للكافر: ماذا تقول في فلان بن فلان؟ فيقول: قد سمعت به ولا أدري ما هو، فيقال له: لا دريت، ويُفتح له باب من نار فلا يزال يتحف من حرها إلى يوم القيامة))[٥٤].

كما ورد في وصفه لأهل الجنة أنه قال: ((إن أهل الجنة جرد مرد مكحلين مكللين مطوقين مسورين مختمين ناعمين محبورين مكرمين، يُعطى احدهم قوة مئة رجل في الطعام والشراب والشهوة والجماع، قوة غذائه قوة مئة رجل في الطعام والشراب، ويجد لذة غذائه مقدار أربعين سنة قد ألبس الله وجوههم النور وأجسادهم الحرير بيض الألوان صفر الحلي خضر الثياب))[٥٥].

كما اهتم الإمام الباقر عليه السلام بإجراء المناظرات التي تثبت وجود أصل المعاد وبينت الحقائق المرتبطة به، ولعل أهم تلك المناظرات هي مناظرته مع أحد النصارى حيث سأله قائلاً: أخبرني عن أهل الجنة إذا دخلوها وأكلوا من نعيمها هل ينقص من ذلك شيء؟ فقال الإمام الباقر عليه السلام: ((لا))، فقال النصراني: من أين ادعيتم أن أهل الجنة يطعمون ويشربون ولا يحدثون ولا يبولون؟ وما الدليل فيما تدعونه من شاهد؟ فقال الإمام: ((مثل الجنين في بطن أمه يطعم ولا يحدث))، فاضطرب النصراني ثم قال: أسألك عن مسألة أخرى؟ فقال له الإمام: ((سل))، قال النصراني: من أين ادعيتم أن فاكهة الجنة أبدا غضة طرية موجودة غير معدومة عند جميع أهل الجنة؟ وما الدليل عليه من شاهد لا يجهل؟ فقال الإمام: ((دليله أن ترابنا أبدا يكون غضا طريا موجودا غير معدوم عند جميع أهل الدنيا لا ينقطع))، فاضطرب النصراني وأدرك أن الإمام الباقر عليه السلام من أهل بيتٍ قد تغذوا بالعلم اللدني الذي لا مثيل له[٥٦]، كما ورد في مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع الأبرش الذي تعاون مع هشام بن عبد الملك ليحرجوا الإمام الباقر عليه السلام ويسألوه عن مسألة لا يعرف جوابها، حيث سأل الأبرش الإمام الباقر عليه السلام: ((أخبرني عن قوله تعالى: (يوم تبدل الأرض غير

الأرض) ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟ فقال الإمام: ((يُحشر الناس على مثل قرصة النقيء فيها أنها متفجرة يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب))، فقال له هشام: قل له ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ؟ فقال الإمام: ((هم في النار أشغل ولم يشغلوا عن أن قالوا: أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله))، فنهض الأبرش وهو يقول: أنت ابن رسول الله حقاً، ثم التفت إلى هشام قائلاً: دعونا منكم يا بني أمية فإن هذا أعلم أهل الأرض بما في السماء والأرض فهذا ولد رسول الله صلى الله عليه وآله[٥٧].

ثالثاً:- المنهج الشرعي الفقهي:

لقد بذل الإمام الباقر عليه السلام جهداً جباراً في ترسيخ الأحكام الفقهية الصائبة ولا سيما بعد انتشار فقهاء العامة الذين كانوا يستحدثون أحكاماً خاطئة بالاعتماد على مبدأ التخمين والقياس بالرأي اللذين أصبحا جزءاً أساسياً من التقليد السائد للعلوم الفقهية، مما ادى إلى ارتكاز عبادات المجتمع إلى أسس فقهية غير صحيحة وخالية من الاستناد إلى الأدلة والبراهين، ولا تساعدهم في أداء فروضهم على الوجه المتيقن معه براءة الذمة، هذا فضلاً عن التحريف في الأحكام الصريحة المؤكدة في القرآن الكريم وسنة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله[٥٨]، وقد كان للإمام الباقر عليه السلام الدور المشرق في بيان ونشر الأحكام الشرعية الصحيحة وأعطاء القواعد الكلية التي يتمسك بها الفقهاء في استنباط الحكم الشرعي، وقد نهل من منبع علومه الصافية الكثير من علماء العامة كأبي حنيفة ومالك وغيرهم لما رأوه من الصواب والرصانة في تلك الأحكام[٥٩]، وأهم المسائل التي ركز عليها الإمام الباقر عليه السلام هي:

١) **النهي عن المسح على الخفين:** لقد نهى الإمام الباقر عليه السلام عن المسح على الخفين في عملية الوضوء بدلاً من المسح على ظاهر القدمين، إذ أن هذه الظاهرة قد انتشرت بشكلٍ واسع في ذلك الزمن، ويُروى أن الربيع قد سأل الإمام الباقر عليه السلام عن المسح على الخفين فنهاه الإمام الباقر عليه السلام وقال له: ((لم يكن أمير المؤمنين يمسح على الخفين))[٦٠]، ومن المعلوم أن المسح على القدمين في عملية الوضوء هو جزء أساسي ولا يجوز فيه وجود حائل بين الماسح (باطن اليد) وبين الممسوح (ظاهر القدمين)[٦١].

٢) **عدم نقض مس الفرج للوضوء:** لقد استحدث الشافعي في زمن الإمام الباقر عليه السلام

حكماً فقهياً يقضي بانتقاض الوضوء عند مس الفرج، وتمسك بذلك الرأي كل من عمر وسعد بن وقاص وأبي هريرة وعائشة، في حين أن الإمام الباقر عليه السلام قال في شأن ذلك: ((ليس في القبلة ولا في المباشرة ولا مس الفرج وضوء))[٦٢]، ومن الجدير بالذكر أن تلك الأمور لا تنقض الوضوء إلا إذا أوجبت الجنابة فحينئذٍ توجب الغُسل ويُعد غسل الجنابة مجزي عن الوضوء[٦٣].

٣) الجهر في صلاة الإخفات أو الإخفات في صلاة الجهر: لقد كان فقهاء المذاهب الإسلامية يؤكدون أن الجهر في صلاة الإخفات أو الإخفات في صلاة الجهر عمداً لا يبطل الصلاة، في حين أن زرارة روى عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في شأن رجل جهر فيما لا ينبغي الإجهار فيه أو أخفت فيما لا ينبغي الإخفات به: ((إن فعل ذلك متعمداً فقد نقض صلاته وعليه الإعادة، وإن فعل ذلك ناسياً أو ساهياً أو لا يدري فلا شيء عليه وتمت صلاته))[٦٤]، ومن الجدير بالذكر أن علماء الشيعة الإمامية يذكرون الحكم الفقهي ذاته في رسائلهم العملية[٦٥].

٤) وجوب البسملة في القراءة أثناء الصلاة: لقد أفتى الكثير من فقهاء العامة على عدم وجوب البسملة في القراءة أثناء الصلاة وقد استمر العمل بهذا الحكم إلى يومنا هذا بمع أن الإمام الباقر عليه السلام قد نص على وجوب البسملة في القراءة، حيث ورد أن يحيى بن أبي عمران الهمداني قد أرسل رسالة إلى الإمام الباقر عليه السلام يقول فيها: (جعلت فداك ما تقول في رجل ابتدأ ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاته في أم الكتاب فلما صار إلى غير ام الكتاب من السور تركها، فقال العباسي: ليس بذلك بأس؟)، فرد الإمام الباقر عليه السلام على تلك الرسالة قائلاً: ((يعيدها مرتين على رغم أنفه - يعني رغم أنف العباسي -))[٦٦]، وقد ورد في الرسائل العملية لفقهاء الشيعة الإمامية ما يؤكد على وجوب البسملة قبل القراءة وأن تركها عمداً يعد من مبطلات الصلاة لأنها احد آيات السورة[٦٧].

٥) وجوب الصلاة على النبي وآله في التشهد: لقد أكد أكثر الفقهاء على وجوب الصلاة على محمد وآله الأطهار في التشهد أثناء الصلاة، حيث ورد أن جابر بن يزيد الجعفي روى عن الإمام الباقر عليه السلام: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من صلى صلاة

لم يصلِ فيها عليَّ ولا على أهل بيتي لم تقبل))[٦٨]، وقد ذكرت الصلاة على النبي وآله الأطهار في صيغة التشهد في أغلب الرسائل العملية لفقهاء الشيعة الإمامية[٦٩].

٦) **جواز صلاة النوافل من جلوس:** لقد نص الإمام الباقر عليه السلام على جواز صلاة النوافل من جلوس، حيث ورد أن أبي حنان بن سدير قال للإمام الباقر عليه السلام: أتصلي النوافل وأنت قاعد؟ فقال الإمام: ((ما أصليها إلا وأنا قاعد منذ حملت هذا اللحم وبلغت هذا السن))، وهذا يدل على مدى اهتمام الإمام الباقر عليه السلام بصلاة النوافل والتأكيد على عدم تركها حتى في حالة التعب وكبر السن[٧٠].

وقد قام الإمام الباقر عليه السلام بإجراء المناظرات الفقهية لبيان الكثير من الأحكام التي كان يجهلها الأفراد، ولعل أهم تلك المناظرات هي مناظرته مع طاووس اليماني الذي سأله قائلاً: ((أخبرني عن رجل مسلم محصن أُخذ مع امرأة محصنة مسلمة فوجب على الرجل الرجم ولم يجب على المرأة شيئاً؟ فقال الإمام: ((هذا رجل أُشهد على طلاق امرأته وهو غائب ثم قدم فجامعها ولم تشعر بطلاقها فرُجم وتُركت))، فقال طاووس: فأخبرني عن رجل حرمت عليه امرأته من غير طلاق ولا خلع ولا طمث ثم حلت له بعد ذلك؟ فقال الإمام: ((ذاك رجل كان وامرأته محرمين فلم يدركا الحج فتربصا إلى قابل حتى فرغا من حجهما))، فقال طاووس: فأخبرني عن رجلين خطبا امرأة فحلت لأحدهما ولم تحل للأخر من غير معرفة ولا رحم ولا رضاع؟ فقال الإمام: ((الذي حُرمت عليه كان له أربع نسوة))، فقال طاووس: فأخبرني عن رجل كان له غلامان طرق أحدهما الباب على مولاه، فقال له مولاه: إذهب فأنت حر، فادعيا كلاهما العتق؟ فقال الإمام: ((يسعى كل واحد منهما في نصف قيمته))، فقال طاووس: فأخبرني عن رجلين كانا على سطح فسقط أحدهما ومات فحُرم على الآخر امرأته؟ فقال الإمام: ((كانت امرأة الحي أمة للميت فصارت ميراثاً))، فقال طاووس: هذا والله العلم، والله يجعل رسالاته حيث يشاء[٧١].

رابعاً:- المنهج التربوي الأخلاقي:

لقد كان الإمام الباقر عليه السلام شديد الاهتمام بإحياء المعالم التربوية والأخلاقية في المجتمع، إذ أن الأخلاق هي العماد الرصين لنشوء مجتمع مزدهر، ولهذا كان يحث على التحلي بمكارم الأخلاق فقد كان يقول: ((أكمل المؤمنين إيماناً أكملهم خُلقاً))[٧٢]، وقد ضرب

الإمام الباقر عليه السلام اروع الأمثلة في حسن الخلق وكمال الصفات من التواضع والكرم والصبر والحلم مما أهله لقيادة الأمة روحياً، ويُروى أن ذات يوم خاطبه احد النصارى قائلاً له: أنت بقر، فقال له الإمام الباقر عليه السلام وهو متبسم: ((لا أنا باقر))، فقال له النصراني: أنت ابن الطباخة، فقال له الإمام: ((ذلك حرفتها))، فلم يكتفِ النصراني بل تمادى في كلامه فقال: أنت ابن السوداء الزغنة الندية، فقال له الإمام: ((إن كنت صدقت غفر الله لها وإن كنت كذبت غفر الله لك))، فبُهر النصراني من أخلاق الإمام العالية وأعلن إسلامه(٧٣).

كما كان الإمام الباقر عليه السلام شديد الحب والعطف على الفقراء، كثير البر والإحسان لهم، فقد كان يبجلهم ويرفع من شأنهم كي لا يُرى عليهم ذل الحاجة، كما كان يناديهم بأحسن أسمائهم وينهى أهل بيته وأصحابه عن مناداتهم بالسائلين، كما كان يقوم بعتق العبيد ومنحهم الحرية بعد تعليمهم للعلوم المختلفة مما أدى إلى نشر العلم في أنحاء واسعة من البلاد(٧٤).

وقد كان الإمام عليه السلام شديد الصبر على كل المصائب التي كان يلاقيها والتي اشتملت على انتقاص الحكومات الجائرة لآبائه الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين وإعلان سبهم على المنابر بشكلٍ رسمي، هذا فضلاً عن التنكيل الهائل بشيعة أهل البيت عليهم السلام وملاحقتهم وقتلهم مع فرض الرقابة الشديدة على الإمام لمنعه من الثورة أو نشر العلوم والمعارف(٧٥).

وأهم ما يدل على اهتمام الإمام الباقر عليه السلام بالأخلاق هو وصاياه الخالدة التي أكد فيها على ضرورة التحلي بالأخلاق الفاضلة في التعامل مع الله تبارك وتعالى وفي تهذيب النفس، حيث ورد في وصيته العظيمة لأحد أصحابه في شأن أخلاق التعامل مع الله تعالى أنه قال: ((العبد بين ثلاثة: بلاء وقضاء ونعمة، فعليه في البلاء من الله الصبر فريضة، وعليه في القضاء من الله التسليم فريضة، وعليه في النعمة من الله الشكر فريضة))(٧٦)، كما ورد في وصية الإمام الباقر عليه السلام لولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((يا بني إن الله قد خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء: خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرن من الطاعة شيئاً فلعل رضاه فيه، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئاً فلعل سخطه فيه، وخبأ أوليائه في خلقه فلا تحقرن أحداً فلعله ذلك الولي))، وقد حفلت هذه الوصية بمعالي الأخلاق الرفيعة حيث تشتمل على الترغيب في طاعة الله والحث عليها والتحذير من المعصية والنهي عنها وتكريم الناس وعدم الاستهانة بأي أحدٍ منهم ، كما ورد في وصيته لأولاده ما يؤكد به على ذكر الله تعالى

في كل حال، حيث قال لهم: ((إذا أنعم الله عليك نعمة فقل: الحمد لله، وإذا أحزنك أمر فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإذا أبطأ عنك رزقك فقل: استغفر الله))[٧٧]، كما ورد في وصيته العظيمة لجابر بن يزيد الجعفي ما يؤكد به على تهذيب النفس وتحليتها بالفضائل الكريمة حيث قال عليه السلام: ((أوصيك بخمس: إن ظُلمت فلا تظلم، وإن خانوك فلا تخن، وإن كُذبت فلا تغضب، وإن مُدحت فلا تفرح، وإن ذُممت فلا تجزع، وفكّر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله جلّ وعزّ عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة ممّا خفت من سقوطك من أعين الناس، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك، فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك.. وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل، وتحرّز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدّة التيقّظ، واستجلب شدّة التيقّظ بصدق الخوف، وأحذر خفي التزين بحاضر الحياة، وتوقّ مجازفة الهوى بدلالة العقل، وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم، واستبق خالص الأعمال ليوم الجزاء، وانزل ساحة القناعة باتقاء الحرص، وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة، واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل، واقطع أسباب الطمع ببرد اليأس، وسد سبيل العجب بمعرفة النفس، وتخلّص إلى راحة النفس بصحّة التفويض، واطلب راحة البدن باجمام القلب، وتخلّص إلى اجمام القلب بقلّة الخطأ، وتعرّض لرقة القلب بكثرة الذكر في الخلوات، واستجلب نور القلب بدوام الحزن، وتحرّز من إبليس بالخوف الصادق، وإيّاك والرجاء الكاذب فإنّه يوقعك في الخوف الصادق وتزيّن لله عزّ وجلّ بالصدق في الأعمال، وتحبّب إليه بتعجيل الانتقال، وإيّاك والتسويف فإنّه بحر يغرق فيه الهلكى، وإيّاك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب، وإيّاك والتواني فيما لا عذر لك فيه فإليه يلجأ النادمون.. وتزوّد من الدنيا بقصر الأمل، وبادر بانتهاز البغية عند إمكان الفرصة، ولا إمكان كالأيام الخالية مع صحّة الأبدان، وإيّاك والثقة بغير المأمون، فإنّ للشر ضراوة كضراوة الغذاء، واعلم أنّه لا علم كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب، ولا عقل كمخالفة الهوى، ولا خوف كخوف حاجز، ولا رجاء كرجاء معين، ولا فقر كفقر القلب، ولا غنى كغنى النفس، ولا قوّة كغلبة الهوى، ولا نور كنور اليقين، ولا يقين كاستصغارك للدنيا، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك، ولا نعمة كالعافية، ولا عافية كمساعدة التوفيق، ولا شرف كبعد الهمّة، ولا زهد كقصر الأمل، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات،

ولا عدل كالإنصاف، ولا تعدّي كالجور، ولا جور كموافقة الهوى، ولا طاعة كأداء الفرائض، ولا خوف كالحزن، ولا مصيبة كعدم العقل، ولا عدم عقل كقلّة اليقين، ولا قلّة يقين كفقد الخوف، ولا فقد خوف كقلّة الحزن على فقد الخوف، ولا مصيبة كاستهانتك بالذنب، ورضاك بالحالة التي أنت عليها، ولا فضيلة كالجهاد، ولا جهاد كمجاهدة الهوى، ولا قوّة كردّ الغضب، ولا معصية كحب البقاء، ولا ذلّ كذلّ الطمع، وإيّاك والتفريط عند إمكان الفرصة، فإنّه ميدان يجري لأهله بالخسران))، وهكذا نلاحظ أن الإمام الباقر عليه السلام قد شخص بدقة أهم الأمراض التي يبتلى بها الإنسان وقام بوضع العلاج الملائم لعلاجها(٧٨).

كما أن وصايا الإمام الباقر عليه السلام الأخلاقية لم تختص بأولاده وأصحابه فحسب، وإنما قد بلغت الحكام والسلاطين حيث رُوي أن عمر بن عبد العزيز حين استلم أمور الحكم طلب من الإمام الباقر عليه السلام أن يوصيه بوصيةٍ ينتفع بها ويحافظ من خلالها على شؤون دولته، فقال له الإمام الباقر عليه السلام: ((أوصيك بتقوى الله، وأن تتخذ صغير المسلمين ولداً وأوسطهم أخاً وكبيرهم أباً فارحم ولدك وصل أخاك وبر أباك وإذا صنعت معروفاً فربَّه))(٧٩).

وهكذا نلاحظ أن جميع وصايا الإمام الباقر عليه السلام في المنهج التربوي الأخلاقي تهدف للوصول إلى سمو النفس وارتقائها في فضاء الشمائل الإنسانية.

خامساً:- المنهج الإرشادي الاجتماعي:

لقد اهتم الإمام الباقر عليه السلام بالتعاليم الاجتماعية التي تهدف لصلاح المجتمع وعيش أفراده بكل مودةٍ وسلام، وقد كان يوصي أصحابه قائلاً: ((ليعن قويكم ضعيفكم، وليعطف غنيكم على فقيركم، ولينصح الرجل أخاه كنصيحته لنفسه))، كما كان عليه السلام يوصيهم قائلاً: ((بلغوا شيعتنا عنا السلام فأوصهم بتقوى الله العظيم وبأن يعود غنيهم على فقيرهم ويعود صحيحهم عليلهم ويحضر حيهم ميتهم وليتلاقوا في بيوتهم فإن لقاء بعضهم بعضاً حياة لأمرنا))(٨٠).

كما ركز الإمام الباقر على مجموعة من المبادئ الأساسية لتعايش الأفراد مع بعضهم ضمن مجتمعٍ مترابط تحفه الأواصر الإنسانية الوثيقة، وأهم تلك المبادئ هي:

١) **طلاقة الوجه:** حيث أكد الإمام الباقر على مقابلة الناس بالبشر وطلاقة الوجه فذلك

موجبٌ لإزالة البغضاء والكراهية، فقد قال عليه السلام: ((البشر الحسن وطلاقة الوجه مكسبة للمحبة وقربة من الله تعالى، وعبوس الوجه وسوء البشر مكسبة للمقت وبعدٌ من الله تعالى))[٨١].

٢) **معاملة الناس بالحسنى:** فقد حث الإمام الباقر عليه السلام على معاملة الناس بالإحسان واجتناب هجر الكلام معهم وإن لم يقدر الناس ذلك، فقد وضع النفس ميزاناً للتعامل مع الآخرين، فقد قال عليه السلام: ((قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين الفاحش المتفحش السائل الملحف، ويحب الحيي الحليم))، كما قال عليه السلام: ((ليس شيء مميل الإخوان إليك مثل الإحسان إليهم))[٨٢].

٣) **مراعاة حقوق الآخرين:** لقد أكد الإمام الباقر عليه السلام على حفظ حقوق الآخرين ولا سيما الحقوق التي شرعها الإسلام لهم، حيث قال عليه السلام: ((أحبب أخاك المسلم وأحب له ما تحب لنفسك، وإذا سألك فأعطه ولا تدخر عنه خيراً، وكن له ظهراً، إن غاب فاحفظه في غيبته، وإن شهد فزره وأكرمه فإنه منك، وإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تسل سخيمته، وإذا أصابه خير فاحمد الله عليه، وإن ابتلي فاعضده))[٨٣].

٤) **البر بالضعفاء:** لقد ركز الإمام الباقر عليه السلام على البر بالضعفاء ومساعدتهم، إذ أن ذلك يساهم في نشر أواصر المحبة والتكافل بين أفراد المجتمع، كما قام بربط ذلك بالإيمان الحقيقي وبيان مقامه عند الله تعالى، حيث قال عليه السلام: ((أربع من كن فيه من المؤمنين أسكنه الله تعالى في أعلى عليين في غرف فوق الغرف: من آوى اليتيم ونظر له وكان له أباً، ومن رحم الضعيف وأعانه وكفاه، ومن أنفق على والديه وترفق بهما وسرهما ولم يحزنهما، ومن لم يخرق مملوكه فأعانه على ما يكلفه)).

٥) **الفطنة:** لقد اهتم الإمام الباقر عليه السلام بمبدأ مهم جداً في الحياة الاجتماعية لضمان سعادة الإنسان وصلاح معيشته آلا وهو مبدأ الفطنة، حيث قال عليه السلام: ((صلاح جميع التعايش والتعاشر ملئ مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل، فلم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ولا حظاً في الصلاح لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد فطنه وعرفه))[٨٤].

وهكذا يتضح من تلك المبادئ السابقة أن الإمام الباقر عليه السلام قد اهتم كثيراً بصلاح العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع لما تحويه من تأثير كبير على رقي المجتمع وازدهاره بما تنشره من روابط الألفة والأخوة بينهم.

سادساً:- المنهج الثقافي العلمي:

لقد اهتم الإمام الباقر عليه السلام كثيراً بالمنهج العلمي ليقينه بأنه الدعامة الكبرى التي يستند إليها المجتمع وترتقي بها الحضارة ويصل بها الإنسان إلى الكمال المطلوب، وقد حث الإمام الباقر عليه السلام كثيراً حيث ورد عنه أنه قال: ((تعلموا العلم فإن تعلمه جُنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قربة، والعلم منار الجنة، وأنس الوحشة، وصاحب الغربة، ورفيق الوحدة، ودليل على السراء، وعون على الضراء، وزين عند الأخلاء، وسلاح على الأعداء))[٨٥]، كما أكد عليه السلام على ضرورة العمل ذلك العلم وتحويله من علم نظري مجرد إلى معرفة بواقع تطبيقي، إذ أن المعرفة الشرط الأساسي في قبول العمل، حيث قال عليه السلام: ((لا يُقبل عمل إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بعمل، ومن عرف دلته معرفته على العمل ومن لا يعرف فلا عمل له))[٨٦].

وقد كان للإمام الباقر عليه السلام دور كبير في الحركة العلمية إذ أنه قام بإنشاء المدارس ونشر العلم، واهتم بالتنقيب عن مختلف أنواع العلوم كالجغرافيا والفيزياء والكيمياء والهيئة والفلسفة والأدب والآثار وغيرها، مما أدى إلى قيامه بتوسيع رقعة الجامعة في المسجد من أجل استيعاب الأقسام المختصة بتلك العلوم، كما كان يقوم بتدريس تلك المناهج بنفسه لضمان وصول المعلومات الدقيقة بالشكل العلمي الصحيح لجميع الأفراد بلا أي فرق، كما قام عليه السلام بوضع النقاط الأساسية لكثير من العلوم الأخرى كعلم التاريخ والهندسة والحساب والطب التي طورها الإمام جعفر الصادق عليه السلام من بعده[٨٧].

وقد قام الإمام الباقر عليه السلام ببيان الكثير من المسائل العلمية المختلفة ومن أهم نماذج تلك المسائل هي:

١) **سرعة الشمس:** لقد تحدث الإمام الباقر عليه السلام عن سرعة الشمس وبين مدى ارتفاع تلك السرعة، حيث ورد أنه قال: ((إن موسى عليه السلام قد سأل ربه أ ن يعلمه زوال الشمس، فوكل الله بها ملكاً، فقال: يا موسى قد زالت الشمس، فقال موسى:

متى؟ فقال: حين أخبرتك وقد سارت خمسمائة عام والله هو الولي))[٨٨].

٢) **حرارة الشمس والقمر:** لقد بين الإمام الباقر عليه السلام سبب اختلاف حرارة الشمس والقمر، حيث قال عليه السلام: ((إن الله خلق الشمس من نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا كانت سبعة أطباق ألبسها الله لباساً من نار فمن ثم صارت أشد حرارة من القمر، وخلق القمر من ضوء نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا كانت سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء فمن ثم صار القمر أبرد من الشمس))[٨٩].

٣) **السنة القمرية:** رُوي أن الإمام الباقر عليه السلام قد ذكر في عدد أيام السنة القمرية: ((إن الله عزّ وجل خلق الشهور اثني عشر شهراً وهي ثلاثمئة وستون يوماً فحجز منها ستة أيام خلق فيها السماوات والأرضين فمن ثم تقاصرت الشهور)).

٤) **نزول المطر:** لقد تحدث الإمام الباقر عليه السلام عن نزول المطر قائلاً: ((إن تحت العرش بحراً فيه ماء ينبت به أرزاق الحيوان وإذا أراد الله أن ينبت ما يشاء لهم رحمةً منه أوحى الله عزّ وجل فأمطر منه ما شاء من سماء إلى سماء حتى يصير إلى سماء الدنيا فيلقيه السحاب، والسحاب بمنزلة الغربال ثم يوحي الله عزّ وجل الرياح أن اطحنيه وأذيبيه ذوبان الملح في الماء فانطلقي به إلى موضع كذا وكذا عباب أو غير عباب فتقطر على النحو الذي يأمرها به فليس من قطرة إلا ومعها ملك يضعها موضعها ولم ينزل من السماء قطرة إلا بقدر معدود ووزن معلوم إلا ما كان يوم الطوفان على عهد نوح عليه السلام فإنه نزل منها ماء منهمر بلا عدد ولا وزن)).

٥) **بكاء المولود الجديد:** لقد بين الإمام الباقر عليه السلام سبب بكاء ولادة الأطفال وهم يبكون حيث قال عليه السلام في خصوص ذلك: ((إذا بلغ أوان خروج الولد تام أو غير تام أوحى الله إلى الرحم أن افتحي بابك حتى يخرج خلقي إلى أرضي وينفذ فيه أمري فقد بلغ أوان خروجه، فيفتح الرحم باب الولد فيبعث الله إليه ملكاً يُقال له زاجر فيزجره زجرة فيفزع منها الولد فينقلب فيصير رجلاه فوق رأسه ورأسه في أسفل البطن ليسهل الله على المرأة وعلى الولد الخروج، فإذا احتبس زجره الملك زجرة أخرى فيفزع منها فيسقط الولد إلى الأرض باكياً فزعاً من الزجرة))[٩٠].

٦) وجود العوالم الأخرى: لقد أكد الإمام الباقر عليه السلام على وجود العوالم الأخرى، حيث رُوي أن جابر بن يزيد الجعفي قد سأل الإمام الباقر عن قول الله عزّ وجلّ: (و كذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات و الأرض) وكنت مطرقاً إلى الأرض، فرفع يده إلى فوق، ثم قال لي: ((ارفع رأسك))، فرفعت رأسي فنظرت إلى السقف قد انفجر حتى خلص بصري الى نور ساطع حار بصري دونه، ثم قال لي: ((رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض هكذا، ثم قال لي: ((أطرق))، فأطرقت، ثم قال لي: ((إرفع رأسك))، فرفعت رأسي فإذا السقف على حاله، ثم أخذ بيدي و قام و أخرجني من البيت الذي كنت فيه وأدخلني بيتا آخر فخلع ثيابه التي كانت عليه و لبس ثياباً غيرها ثم قال لي: ((غضّ بصرك))، فغضضت بصري و قال لي: ((لا تفتح عينك))، فلبثت ساعة ثم قال لي: ((أتدي أين أنت؟))، قلت: لا جعلت فداك، فقال لي: ((أنت في الظلمة التي سلكها ذو القرنين))، فقلت له: جعلت فداك أتأذن لي أن أفتح عيني؟ فقال لي: ((افتح فإنك لا ترى شيئاً))، ففتحت عيني فإذا أنا في ظلمةٍ لا أبصر فيها موضع قدمي، ثم سار قليلاً ووقف فقال لي: ((هل تدري أين أنت؟))، قلت: لا، قال: ((أنت واقف على عين الحياة التي شرب منها الخضر))، وخرجنا من ذلك العالم إلى عالم آخر فسلكنا فيه، فرأينا كهيئة عالمنا بنائه ومساكنه وأهله، ثم خرجنا إلى عالم ثالث كهيئة الأول والثاني وحتى وردنا خمسة عوالم، فقال: ((هذه ملكوت الأرض ولم يرها ابراهيم وإنما رأى ملكوت السماوات وهي اثنا عشر عالماً كل عالم كهيئة ما رأيت، كلما مضى منّا إمام سكن أحد هذه العوالم حتي يكون آخرهم القائم في عالمنا الذي نحن ساكنوه))، ثم قال لي: ((غضّ بصرك))، فغضضت بصري ثم أخذ بيدي فإذا نحن في البيت الذي خرجنا منه، فنزع تلك الثياب التي كانت عليه وعدنا إلى مجلسنا، فقلت: جعلت فداك كم مضي من النهار؟ قال: ((ثلاث ساعات)). وهذا ما يؤكد أن هذا الكون العظيم يحتوي على عوالم آخرى يقصر العقل البشري عن إدراكها[٩١].

سابعاً:- المنهج الاقتصادي العملي:

لقد اهتم الإمام الباقر عليه السلام بالمباحث الاقتصادية لما تشكله من أهمية كبيرة لدى الأفراد بما يحقق صلاح المعيشة ونفع المجتمع، وقد أكد عليه السلام على مجموعة من المبادئ المهمة التي

تؤدي إلى الحياة الاقتصادية السليمة، إذ أن تلك المبادئ تشكل نظاماً اقتصاديا منيعاً يعصم الانسان والمجتمع من الانحراف الاقتصادي، وأهم تلك المبادئ هي:

١) **اعتبار العمل جزء من العبادة والطاعة:** لقد كان الإمام الباقر عليه السلام يرى أن العمل جزء أساسي من العبادة، حيث رُوي عنه أنه قال: ((العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال))، كما كان عليه السلام يؤكد أن العمل هو طاعة لله تبارك وتعالى، حيث كان عليه السلام يقول: ((لا أخاف لو جاءني الوت وأنا في طاعة من طاعات الله عزّ وجل أعمل فأكف نفسي وعيالي عن الناس، وإنما أخاف لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله)).

٢) **ضرورة تحسين المعيشة:** لقد حث الإمام الباقر عليه السلام على ضرورة الجد والسعي في طلب المعيشة لينعم الإنسان مع عائلته بالرخاء ويتجنب البؤس والفقر، حيث ورد عنه أنه قال: ((من تسلح لطلب المعيشة خفف مؤونته ورضي باله ونعم عياله))[٩٢].

٣) **مراعاة الاقتصاد والوسطية:** لقد أكد الإمام الباقر عليه السلام على ضرورة مراعاة الاقتصاد والتوسط في صرف الأموال وتجنب الإفراط والتفريط، حيث قال الإمام الباقر عليه السلام: ((أما المنجيات فخوف الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر)).

٤) **التحذير من الاعتداء على أموال الآخرين:** لقد حذر الإمام الباقر من الاعتداء على أموال الآخرين إذ أن ذلك يؤدي إلى حدوث الخلل الاقتصادي والآثار السلبية على المجتمع، حيث ذكر في شأن ذلك: ((من أصاب مالاً من أربع لم يقبل منه أربع: من أصاب مالاً من غلول أو ربا أو خيانة أو سرقة، لم يُقبل منه في زكاة ولا صدقة ولا في حج ولا في عمرة))[٩٣].

٥) **التكافل الاجتماعي:** لقد ركز الإمام الباقر بشكل كبير على عملية التكافل الاجتماعي، إذ أنه يعمل على تحقيق التوازن الاقتصادي من خلال رفع المستوى المعيشي للفقراء، وقد كان الإمام الباقر عليه السلام يقول: ((البر والصدقة ينفيان الفقر))،

كما قام الإمام الباقر عليه السلام بالحث على مساعدة الفقراء والمحتاجين وعد ذلك عبادة تفوق العبادة المستحبة في الأجر حيث قال: ((لأن أحج حجة أحب علي من ان أعتق سبعين رقبة، ولأن أعول أهل بيت من المسلمين أشبع جوعتهم وأكسو عورتهم وأكف وجوههم عن الناس أحب إلي من أن أحج سبعين حجة))[٩٤].

٦) **التحذير من الكسل:** لقد أكد الإمام الباقر عليه السلام على ضرورة النشاط والاجتهاد، وحذر من عواقب الكسل، إذ أنه موجب لشل الحركة الاقتصادية وتجميد الطاقات الإنسانية ونشر الفساد في الأرض، فقد رُوي عنه أنه قال: ((الكسل يضر بالدين والدنيا))، كما كان عليه السلام ينهى أولاده عن الكسل فيقول لهم: ((إياك والكسل والضجر فإنهما مفتاح لكل شر، من كسل لم يؤدِ حقاً ومن ضجر لم يصبر على حق))[٩٥].

٧) **مقت تارك العمل:** لقد كان الإمام الباقر عليه السلام لا يحب الفرد التارك للعمل، لأن ذلك يؤدي إلى ضعف الإنتاج وزيادة البطالة وانتشار الأزمات الاقتصادية، حيث ورد عنه أنه قال: ((إني أمقت الرجل يتعذر عليه المكاسب فيستلقي على قفاه ويقول: اللهم ارزقني، ويدع أن ينتشر في الأرض ويلتمس من فضل الله والذرة تخرج من جحرها تلتمس رزقها))[٩٦].

وهكذا نلاحظ أن الإمام الباقر عليه السلام قد بين أهم القواعد العملية لبناء نظام اقتصادي متكامل يضمن صلاح معايش جميع الأفراد بما يساهم في بناء مجتمع ينعم بالخير والرخاء.

وهكذا يتبين لنا مدى الجهود الجبارة التي قام بها الإمام الباقر لإرساء القواعد الفكرية الصحيحة في جميع المجالات القرآنية والعقائدية والفقهية والأخلاقية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية بما يعمل على نشوء مجتمع متسم بجميع الفضائل والمزايا وبالتالي الوصول إلى السعادة والكمال...

فسلام الله وبركاته عليه في كل حين...

Abstract:-

Imam Mohammed bin Ali Al Baqur peace upon him considered a fruitful branch of The Prophetic tree branches and The Hashemite lofty tree that full with sciences and knowledge, he has the basic role in discover the facts, especially after counterfeiting and distortion in Umayyad time that aims to expulsion the people on doctrine Ahl AL Bayt peace upon them, and Push them to follow Poor suspicions.

Search will be divided into two parts, the first part deals with: ((Description of the community conditions in Imam Baqur time)), and second part deals with: ((Approaches of Imam Baqur thought)).

هوامش البحث

(١) محمد بن علي الباقر، فاطمة علي الجعفر: ص٦١.

(٢) التاريخ التحليلي لصدر الإسلام، منذر الحكيم: ص٢٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٤) تفسير القرآن في حديث الإمام الباقر، نهلة غروي: ص٢٥٨.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٦) تفسير القرآن في حديث الإمام الباقر، نهلة غروي: ص٢٥٨.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٨) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٩) الفكر الشيعي المبكر تعاليم الإمام الباقر، رزينة لالاني: ص٢٣٤.

(١٠) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(١١) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص١٨٨.

(١٢) الفكر الشيعي المبكر تعاليم الإمام الباقر، رزينة لالاني: ص١٢٦.

(١٣) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(١٤) سورة ص، الآية: ٧٥.
(١٥) محمد بن علي الباقر، فاطمة علي الجعفر: ص٥٠.
(١٦) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص٧٦.
(١٧) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص٥٠.
(١٨) محمد بن علي الباقر، فاطمة علي الجعفر: ص٥٢.
(١٩) الكافي، الكليني: ص٢٣٤.
(٢٠) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص٥٠.
(٢١) عقائدنا، طارق محمد العلي: ص١٦.
(٢٢) الكافي، الكليني: ص١٢٣.
(٢٣) سورة الواقعة، الآية: ٦٠.
(٢٤) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص٦٥.
(٢٥) الكافي، الكليني: ص٩٢.
(٢٦) محمد بن علي الباقر، فاطمة علي الجعفر: ص٣٧.
(٢٧) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص٨٧.
(٢٨) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص٨٧.
(٢٩) كلمة الإمام الباقر، حسن الشيرازي: ص٣٤٥.
(٣٠) أمالي الصدوق، الصدوق: ص٢٢١.
(٣١) بحار الأنوار، المجلسي: ص٦٥.
(٣٢) تفسير القرآن في حديث الإمام الباقر عليه السلام، نهلة الغروي: ص١٥.
(٣٣) بحار الأنوار، المجلسي: ص١٥٧.
(٣٤) عوالم العلوم والمعارف والأحوال، عبد الله البحراني: ص٣١٦.
(٣٥) كلمة الإمام الباقر، حسن الشيرازي: ص٤٣.
(٣٦) سورة طه، الآية: ٣٩.
(٣٧) سورة القصص، الآية: ١٣.
(٣٨) التاريخ التحليلي لصدر الإسلام، منذر الحكيم: ص٢٧.
(٣٩) كلمة الإمام الباقر، حسن الشيرازي: ص٤٥٦.
(٤٠) الكافي، الكليني: ص٣٨٨.
(٤١) الاستنصار، محمد الكراجكي: ص١٧.
(٤٢) الخصال، الصدوق: ص٢٣٤.
(٤٣) علل الشرائع، الصدوق: ص٣٥٤.

(٤٤) محمد بن علي الباقر، فاطمة علي الجعفر: ص٤٠.
(٤٥) الفكر الشيعي المبكر تعاليم الإمام الباقر، رزينة لالاني: ص١١٩.
(٤٦) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص٦٥.
(٤٧) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٤٨) الكافي، الكليني: ص٩٨.
(٤٩) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص٢٣٤.
(٥٠) محمد بن علي الباقر، فاطمة علي الجعفر: ص٤١.
(٥١) الكافي، الكليني: ص١٤٣.
(٥٢) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص٢٤٤.
(٥٣) عقائدنا، طارق محمد العلي: ص٢٦.
(٥٤) كلمة الإمام الباقر، حسن الشيرازي: ص٣١٧.
(٥٥) الاختصاص، المفيد: ص٣٥٧.
(٥٦) الإمام الباقر قدوة وأسوة، محمد تقي المدرسي: ص٦٥.
(٥٧) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب : ص٣١٧.
(٥٨) الفكر الشيعي المبكر الإمام الباقر، رزينة لالاني: ص١٦٠.
(٥٩) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص٧٦.
(٦٠) موسوعة أهل البيت، علي عاشور: ص٦.
(٦١) منهاج الصالحين، السيد علي الحسيني السيستاني: ص٣٤.
(٦٢) محمد بن علي الباقر، فاطمة علي الجعفر: ص٤٦.
(٦٣) الوجيز في أحكام العبادات، السيد علي الحسيني السيستاني: ص١٥.
(٦٤) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص١٣٢.
(٦٥) المسائل المنتخبة، السيد علي الحسيني السيستاني: ص١٠٦.
(٦٦) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص١٦٥.
(٦٧) الموجز في أحكام العبادات، السيد علي الحسيني السيستاني: ص٧٤.
(٦٨) محمد بن علي الباقر، فاطمة علي الجعفر: ص٤٧.
(٦٩) منهاج الصالحين، السيد علي الحسيني السيستاني: ص٢١٠.
(٧٠) بحار الأنوار، المجلسي: ص٢٥٤.
(٧١) عوالم العلوم والمعارف والأحوال، عبد الله البحراني: ص٢٣٤.
(٧٢) الإمام الباقر نجي الرسول، سليمان كتاني: ص١٢٥.
(٧٣) موسوعة أهل البيت، علي عاشور: ص٦٣.

(٧٤) محمد بن علي الباقر، فاطمة علي الجعفر: ص٦٩.
(٧٥) محمد بن علي الباقر، فاطمة علي الجعفر: ص٦٩.
(٧٦) الخصال، الصدوق: ص٨٦.
(٧٧) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص١٦.
(٧٨) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص١٦.
(٧٩) الإمام الباقر قدوة وأسوة، محمد تقي المدرسي: ص٥١.
(٨٠) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص٥٦.
(٨١) تحف العقول، الحسن بن علي الحراني: ص٢٠١.
(٨٢) عوالم العلوم والمعارف والأحوال، عبد الله البحراني: ص٢٠٧.
(٨٣) آمالي الصدوق، الصدوق: ص٤٥.
(٨٤) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص٣١٦.
(٨٥) محمد بن علي الباقر، فاطمة علي الجعفر: ص١٦.
(٨٦) كلمة الإمام الباقر، حسن الشيرازي: ص١٣.
(٨٧) الإمام الباقر نجي الرسول، سليمان كتاني: ص١٢٦.
(٨٨) كلمة الإمام الباقر، حسن الشيرازي: ص١٣٤.
(٨٩) علل الشرائع، الصدوق: ص٥٦٧.
(٩٠) كلمة الإمام الباقر، حسن الشيرازي: ص٣٥٤.
(٩١) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٢١٣.
(٩٢) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص١٥٤.
(٩٣) أعلام الهداية، لجنة المجمع العالمي لأهل البيت: ص١٣٢.
(٩٤) أعلام الهداية، لجنة المجمع العالمي لأهل البيت: ص١٣٣.
(٩٥) تحف العقول، الحسن بن علي الحراني: ص ١٤٣.
(٩٦) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي: ص٢٦٥.

قائمة المصادر والمراجع

وخير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

- محمد بن علي الباقر مولده حياته وفاته، فاطمة علي الجعفر، ٢٠١٠م، دار مشكاة النور للطبع والتوزيع، الكويت

- التاريخ التحليلي لصدر الإسلام، منذر الحكيم، ٢٠١١م، قسم البحوث والدراسات، جامعة المصطفى، قم المقدسة، إيران.
- تفسير القرآن في حديث الإمام الباقر، نهلة غروي، ٢٠١٣م، مؤسسة أنصاريان للطبع والتوزيع، قم المقدسة، إيران.
- الفكر الشيعي المبكر تعاليم الإمام الباقر، رزينة لالاني، ٢٠٠٤م، دار الساقي للطبع والتوزيع، بيروت، لبنان.
- حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي، ١٩٩٣م، دار البلاغة للطبع والتوزيع، بيروت، لبنان.
- الكافي، محمد يعقوب الكليني، ١٤٠٧ هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران.
- عقائدنا، طارق محمد علي، ٢٠٠٩م، دار البذرة للنشر، النجف الأشرف، العراق.
- كلمة الإمام الباقر، حسن الشيرازي، ٢٠٠٢م، دار الامين للطبع والتوزيع، بيروت، لبنان.
- أمالي الصدوق، محمد بن علي الصدوق، ٢٠٠٩م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، ١٤٢٠هـ، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم المقدسة، إيران.
- عوالم العلوم والمعارف الإمام الباقر عليه السلام، عبد الله البحراني، ١٤٠٧ هـ، مطبعة أمير، قم المقدسة، إيران.
- الخصال، محمد بن علي الصدوق، ١٩٩٠م، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.
- علل الشرائع، محمد بن علي الصدوق، ٢٠٠٦م، دار المرتضى للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- الاستنصار في النص على الأئمة الأطهار، محمد الكراجكي، ١٩٨٥م، دار الأضواء للطبع والتوزيع، بيروت، لبنان.
- الاختصاص، الشيخ المفيد محمد البغدادي العكبري، ١٩٩٣م، دار ردمك للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- الإمام الباقر قدوة وأسوة، محمد تقي المدرسي، ٢٠١٠م، دار كميل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر أشوب، ١٣٧٦هـ، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

- موسوعة أهل البيت، علي عاشور، ٢٠٠٠م، دار نظير عبود للطبع والتوزيع، بيروت، لبنان.
- منهاج الصالحين، السيد علي الحسيني السيستاني، ١٤١٣هـ، دار القطيف للطبع والتوزيع، بيروت، لبنان.
- الوجيز في أحكام العبادات، السيد علي الحسيني السيستاني، ١٤٢٦هـ، دار البذرة للنشر والتوزيع، النجف الأشرف
- المسائل المنتخبة، السيد علي الحسيني السيستاني، ١٤٢٢هـ، دار الزهراء للنشر والتوزيع، النجف الأشرف، العراق.
- الموجز في أحكام العبادات، السيد علي الحسيني السيستاني، ١٤٢٨هـ، دار البذرة للنشر والتوزيع، النجف الأشرف، العراق
- الإمام الباقر نجي الرسول، سليمان كتاني، ١٩٩٥م، دار الوسيلة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي الحراني، ٢٠٠٢م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان
- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، ٢٠١٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
- أعلام الهداية، لجنة المجمع العالمي لأهل البيت، ١٤٢٥هـ، مطبعة ليلى، قم المقدسة، إيران.